الطائفيـــة وفوبيـــا الاسـلام السُّنّـــي

www.arabpsynet.com/Documents/DocAzzamSunnIslamoPhobia.pdf

د. عـــزام أمـيـــن - سوريـــا
دكتور في علم النفس الاجتماعي وما بين الثقافات
جامعة ليون الخاصة - فرنسا

صحيحٌ أننا في زمن الثورة أصبحنا نُصنّف بعضنا البعض على أساس طائفيّ ونقول " فلان درزي و فلان علوي وفلان سني و فلان مسيحي..." و لكنّ هذا لا يعني أبداً أن ظاهرة التصنيف الطائفي هي حديثة العهد في سورية. كلّ ما في الأمر هو أن الثورة جعلتنا نُفكّر بصوتٍ عالٍ فأصبحنا لا نخاف من قول ما كنّا نفعله بالخفاء منذ العام 1970, فسؤال "منين حضرتك؟" الذي كنا نستخدمه في كل ساعة من حياتنا ، يعني ضمنياً وبشكلٍ صريح: "ماهي طائفتك؟".

الثورة جعلتنا نُفكّر بصوتٍ عالٍ فأصبحنا لا نخاف من قول ما كنّا نفعله بالخفاء منذ العام 1970

مما لا شك فيه أن ظاهرة الطائفية لها جذورها الضاربة في التاريخ وليست وليدة نظام الأسد, ولكن مما لا شك فيه أيضاً هو أن هذا لنظام الديكتاتوري لم يعمل يوماً على محاربتها, لا بل و على العكس تماماً كرّسها و أضعف الهوية الوطنية الجامعة من خلال قتل الحياة السياسية و المدنية في المجتمع السوري وبناء دولة القائد الواحد الأوحد و الحزب الواحد و الفكر الواحد و إشاعة جو من الفساد و المحسوبيات يمتد حتى إلى أصغر تفاصيل الحياة اليومية.

ظاهرة الطائفية لها جذورها الضاربة في التاريخ وليست وليدة نظام الأسد، ولكن مما لا شك فيه أيضا هو أن هذا لنظام الديكتاتوري لم يعمل يوما على محاربتها، لا بل و على العكس تماما كرّسها و أضعف الهوية الوطنية الجامعة

إن أي ملاحظة موضوعية للمناطق الثائرة و لموقف المؤيدين للنظام من الأقليات ستقودنا إلى استنتاج ألا وهو أن النظام ربح في لعبة الطائفية و نجح في تحريك اللاشعور الجمعي عند الأقليات فحيّدها عن الثورة لا بل و استثار عدوانيتها تجاه الشعب الثائر. لقد حارب النظام الشعب السوري بسلاح الطائفية و استخدم التحريض الطائفي من أول يوم بالثورة السورية. لعلّ الطائفية التي تتجسد في الخوف من الأكثرية السُنية تلعب الدور الرئيسي في تكوين الأحكام الموجِّهة للسلوك المؤيد للطاغية عند الأقليات و تعطيهم المبررات الذهنية لمقاومة التغيير والوقوف خلف النظام، لقد أقنعهم وخاصة العلويين منهم بأن وجودهم مرتبط بوجوده و أنهم شاؤوا أم أبوا سوف يحملون وزر أفعاله. يكفينا خمس دقائق من النقاش مع أي مؤيد منهم لنكتشف مدى خوفه من الاسلام السنّي والذي يصل في معظم الأحيان إلى حد "الفوبيا". خمس دقائق يمكنك خلالهم سماع مئة شتيمة للشيخ العرعور و السلفيين لينتهي النقاش بعدها بالسؤال الاعتيادي "بدك العرعور يحكمنا"؟ وهنا يمكننا أن نستنتج

النظام ربح في لعبة الطائفية و نجح في تحريك اللاشعور الجمعي عند الأقليات فحيّدها عن الثورة لا بل و استثار عدوانيتها تجاه الشعب الثائر

لقد حارب النظام .

وبشكل واضح أن موقف الأقليات المعادي للثورة, هو ليس حباً بنظام الأسد ولا تأييداً له و إنما هو خوفٌ وجوديٌ من الاسلاميين.

مؤيدو النظام الديكتاتوري من بين الأقليات مقتنعون أن البديل الوحيد عن الأسد هم الإسلاميون, و هذه هي المعادلة التي ما فتئ الأسد الأب بالتلويح بها "إما أنا و عائلتي أو الإسلاميين". لتحقيق هذه المعادلة لم يتوانى النظام يوماً عن قمع التوجهات الفكرية ذات الطابع العلماني و عن زجّ اليساريين في السجون وقمع الحركات اليسارية الثورية بشكل عام، قمعٌ وصل حدّ التصفية الجسدية في الوقت الذي كان يغضّ الطرف فيه عن الحركات الدينية بجميع اشكالها – طالما أنها لم تتجاوز الخطوط الحمراء التي رسمها لها – لا بل و كان يمنحها المنابر الإعلامية و يدعمها.

الطائفية واقعٌ موجودٌ في مجتمعنا شئنا أم أبينا، وهذه حقيقةٌ جارحةٌ لكثيرٍ منا، لكل من كان يحلم بوطن يكون فيه الاحساس بالهوية الوطنية والمواطنة أقوى من الهوية الطائفية والمذهبية. إن عدم الاعتراف بوجود طائفية كبيرة لدى الأقليات (على وجه الخصوص لا الحصر) يجسد موقفاً طائفياً بحد ذاته, و إن إنكار العلّة على مبدأ "سوريون على بعضنا وكفى" لا يعني عدم وجودها. إن الاعتراف بهذه الطائفية إنما هو أول خطوة علاجية لها.

....

بعيداً عن السياسة ولعبة النظام السوري الطائفية الذي بدأت منذ العام 1970، يمكننا تعريف الطائفية من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي بأنها السلوك العدواني تجاه شخصٍ ما او مجموعةٍ ما بسبب انتمائهم الديني. وكلمة سلوك عدواني تعني هنا: فكرة سلبية، موقف سلبي مُسبق، صورة سلبية نمطية، شعور سلبي، ... ويمثل العدوان الجسدي واللفظي تعبيراً عن هذا السلوك. يُعتبر التصنيف الاجتماعي على أساس طائفي شرطاً ضروريا وكافياً لظهور السلوك الطائفي (تاجفل، 1970) (بنفس الطريقة يُعتبر التصنيف الاجتماعي على أساس عرقي شرطاً كافيا و ضروريا لظهور السلوك الشوفيني "القومجي"). إذاً فالطائفية هي حالة خاصة من حالات التصنيف الاجتماعي وهنا طبعاً يتوجب علينا التمييز بين الانتماء لطائفة معينة وهو أمر طبيعي وعادي وبين الطائفية كسلوك عدواني.

إن الفكرة السائدة في أوساط الأقليات هي أن الأكثرية فقط هي من يمكنها ان تكون طائفية وذلك لتفوقها العددي. لقد أثبتت البحوث العلمية في مجال علم النفس الاجتماعي خطأ هذه الفكرة (تاجفل و تورنر، 1978، 1986 ؛ تورنر، 1994؛ بوريس و لينس، 1999؛ جيموند، 2010) كما أثبتت أن الأقليات هي أكثر تعصباً وعدوانية من الأكثرية. ويمكننا القول أن الثورة السورية أثبتت صحة هذه

الشعب السوري بسلاح الطائفية و استخدم التحريض الطائفي من أول يوم بالثورة السورية.

يمكننا أن نستنتج وبشكل واضح أن موقف الأقليات المعادي للثورة، هو ليس حباً بنظام الأسد ولا تأييداً له و إنما هو خوفٌ وجودي من الاسلاميين

الطائفية واقعٌ موجودٌ في مجتمعنا شئنا أم أبينا، وهذه حقيقة جارحة لكثيرٍ منا، لكل من كان يحلم بوطن يكون فيه الاحساس بالهوية الوطنية والمواطنة أقوى من الهوية الطائفية والمذهبية

إن إنكار العلّة على مبدأ "سوريون على بعضنا وكفى" لا يعني عدم وجودها. إن الاعتراف بهذه الطائفية إنما هو أول خطوة علاجية لها.

يمكننا تعريف الطائفية من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي بأنها السلوك العدواني تجاه شخصٍ ما

البحوث على أرض الواقع. فالأقليات – كإنتماء أقلوي– مصابة بقلق وجودي يُشكل عائقاً أمام انتمائها الوطني و أساساً لسلوكٍ تعصّبي منغلق. إن من يتكلم عن الطائفية و السلفية كحكر على الأكثرية المسلمة السنية وفق ما يشيعه النظام الديكتاتوري و"المثقف" الأقلوي، ينسى أو يتناسى أن الأقليات هي أكثر خوفا و انغلاقاً من الأكثرية. و تبقى طائفية الأكثرية ردة فعلٍ على حالة يشعر بها الفرد بالغبن والظلم (من المفروض أن تزول بزوال هذه الحالة)، بينما طائفية الأقليات فهي ناتجة عن خوف عميق كامن في المساحة اللاشعورية من الذاكرة الجمعية.

لا خلاص لسوريا ولا تطور اجتماعي نهضوي فيها سيتحقق من دون تخلّص الأقليات من شعورهم الأقلوي والانطلاق نحو المواطنة باعتبارهم أيضاً حاملين لمشروع التغيير. فلا يمكن لأقليات (من يشعر أنه أقلية) منغلقة على أوهامها ومخاوفها أن تكوّن داعمةً لمشروع وطني... الأقليات تعاني من الكثير من الحواجز النفسية الواعية واللاواعية التي تعيق اندماجها وشعورها بالمواطنة. إن القلق في الأوساط الأقلوية هو طابعٌ عام، و يتنامى بشكل ملحوظ عندما تتعرض هذه الفئات إلى سياسة إقصاء في التاريخ ، ولا تظهر مفاعيلها بنفس النسبة عند الجميع. لا يمكن لأقلية (في هذا السياق) مهما كانت درجة وعيها أن تضع انتماءها الطائفي بعد الوطني, ومن الصعب على من يشعر أنه أقلية أن يتحرر من انحيازه الأقلوي (على الأقل) في إنتاجه الفكري والثقافي والسياسي... فتعامله مع الواقع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي ينطلق من مبدأ برغماتي انتهازي وليس من مبدأ أخلاقي. إن الفئة الوحيد التي من الممكن أن تضع الوطن والمواطنة قبل الطائفة هي من تشعر أنها أكثرية. و لكن بالمقابل لا خلاص لسوريا إلا بتخلّص الأكثرية (أو من يدّعي انه أكثرية) من شعورها بالغبن و الظلم و الابتعاد عن تقسيم المجتمع السوري ل "نحن" الأكثرية و "هم" الأقلية. يجب على هذه الأكثرية أن تتخلص من حالة التصنيف على أساس عرقي أوطائفي (أكثرية طائفية سنية) و تنتقل لحالة التصنيف على أساس سياسي و فكري وبالتالي تحوّل المجتمع السوري من وجهة نظرها إلى أكثرية سياسية مدنية سورية وأقليات سياسية مدنية سورية.

لن يكون هناك بديل عن دولة المواطنة والديمقراطية لتجاوزالهوية والانتماء الطائفيين والانتقال إلى الانتماء والهوية الوطنية الشاملة

par Azzam Amin, dimanche 16 décembre 2012, 19:28

او مجموعةٍ ما بسبب انتمائهم الديني

الطائفية هي حالة خاصة من حالات التصنيف الاجتماعي وهنا طبعاً يتوجب علينا التمييز بين الانتماء لطائفة معينة وهو أمر طبيعي وعادي وبين الطائفية كسلوك عدواني

تبقى طائفية الأكثرية ردة فعلٍ على حالة يشعر بها الفرد بالغبن والظلم (من المفروض أن تزول بزوال هذه الحالة)، بينما طائفية الأقليات فهي ناتجة عن خوف عميق كامن في المساحة اللاشعورية من الذاكرة الجمعية

*** ***

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (حزيران 2013) تسعى الشبكة لتكريم مجموعة من العلماء بإسنادهم لقب :

" الراسخون في العلوم النفسية"

www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf